مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 12 العدد: 04 السنة 2020 ص 155 - 170

تاريخ الإرسال: 2020/01/16 تاريخ القبول: 2020/02/18
تاريخ النشر: 2020/09/20

النشاط الاقتصادي والثقافي للمستوطنين الفرنسيين في مدينة المنيعة (القليعة)1873-1954م.

The economic and cultural activity of the French settlers in the city of Al-Menia(El-golea)1873-1954

د. نواصر عبد الرحمان nouacerabd@gmail.com
المركز الجامعي لتامنغست – معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

الملخص:

اتبعت فرنسا سياسة اقتصادية وثقافية في مدينة المنيعة خلال الفترة الممتدة من سنة 1873م إلى سنة 1954م، وهذه السياسة تخدم الاقتصاد الفرنسي بالدرجة الأولى والمستوطنين بالدرجة الثانية، لذلك قامت فرنسا بعدة مشاريع من بينها:- التركيز على المحاصيل الزراعية الصناعية التجارية. المشاريع السياحية والتعليمية الاستعمارية في المنيعة، ومنه تجسيد الاستعمار الاستيطاني.

الكلمات المفتاحية: مدينة المنيعة، الاستيطان، السياسة الاقتصادية، الصحراء، الزراعة، السياحة، ملجأ اليتامى، التعليم، التطبيب.

Abstract:

France worked to follow an economic Policy in the city of Al-Menia during the period from 1873 to1954, and this policy serves the French economy in the first class, and the second class settlers.The colonial aspect of colonization, the educational aspect, and the tourist aspect of the reconstruction of the region with.settlers.

المنارة للاستشارات

Keywords EL-Menia, Settlement, economic policy, desert, agriculture, tourism, orphanage, education, medicine

المؤلف المرسل د. نواصر عبد الرحمان nouacerabd@gmail.com

1.مقدمة:

عملت فرنسا كل ما في وسعها للسيطرة على منطقة الصحراء الجزائرية، منها مدينة المنيعة التي اتبعت فيها سياسة اقتصادية وسياسة ثقافية تخدم الاقتصاد الفرنسي بالدرجة الأولى، والمستوطنين بالدرجة الثانية، ومن الوهلة الأولى تبين لها بأنّ مدينة المنيعة تتمتع بموقع استراتيجي، إذ تتوسط الجزائر وتتوفر على إمكانيات اقتصادية هائلة منها: طبيعة مناخها الذي يساعد على إنتاج البواكر من المنتوجات الفلاحية خاصة الفاكهة، وتتوفر على مياه جوفية باطنية عذبة على طول مجرى "وادي صغر" الذي ينطلق من جهة جبال الأطلس الصحراوي حتى يصل إلى المنيعة التي تعد مصبا له، بل عمل على توفير تربة خصبة على امتداد يفوق 20 كلم.، خاصة تلك التي هي محصورة ما بين المنطقة الجبلية التي تحدّ المنيعة من الشرق، والعرق الغربي الذي يحدّها من الغرب، فكل هذه العوامل ساعدت على إتباع سياسة استيطانية تتماشى ومصلحة فرنسا الاقتصادية، ولدراسة مظاهر هذه السياسة التي تعكس مدى الاهتمام والتركيز الذي أولته السلطات الفرنسية للمنطقة اعتمدنا على مصادر محلية وأجنبية، والتي بطبيعة الحال عاصرت هذه الأحداث التي رسمت المعالم التاريخية لمدينة المنيعة حتى نرصد أوجه هذا النشاط الاقتصادي والثقافي للمستوطنين الفرنسيين الذين تزايدت أعدادهم تبعا لظروف تاريخي وسياسية، واعتمدانا على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي وفق ما توفر لنا من أرقام تخص الجانب البشري والجانب الاقتصادي، وذلك من أجل معالجة الاشكالية المطروحة وفق التساؤل التالي:

المنارة للاستشارات

فيما تمثلت مظاهر السياسة الفرنسية الاستيطانية في مدينة المنيعة رغم وقوعها في وسط الصحراء، وما هي التأثيرات الناجمة عن هذه السياسة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي؟

2. النشاط الاقتصادي للكولون في مدينة المنيعة:

1.2 التعريف بمدينة المنيعة:

تسمى المنيعة قديما "تاوريرت" وتعني في اللغة البربرية: المكان العالي، فوجود القصر في قمة الربوة يدل على ذلك[1]، ونجد اسم "القليعة" –(EL-Golea بالفرنسية–تصغير لاسم قلعة أي نسبة للقصر القديم الذي يشبه بنيانه القلعة الحصينة، وهناك رواية أخرى أنّ سكانها كانوا يسكنون في المنطقة السهلية الخاصة بمجرى وادي صغر، ونتيجة للهجومات المتكررة من طرف الغزاة أقلع سكانها من الأسفل إلى أعلى الجبل بعد بنائهم للقصر، لتعرف بعد ذلك باسم المنيعة إلى يومنا هذا، وذلك لوجودها في مكان منيع عن العدو يصعب الوصول إليه[2]. خضعت المدينة للاستعمار الفرنسي منذ 1873 على يد الجنيرال "كاليفي(Galeffet)[3]، وبالتالي حقق ما كان يهدف إليه المستكشف "دو. فيريي" (Henri Duveyrier) الذي قبض عليه سكان مدينة المنيعة وتوعدوه بالقتل إن وجده مرة أخرى بالمنطقة، لكنه قال في قرارات نفسه بأنه أصبح الطريق مكشوف نحو احتلال المدينة[4].

2.2 النشاط الزراعي:

عملت فرنسا على إتباع سياسة اقتصادية تخدم الاقتصاد الفرنسي بالدرجة الأولى، والمعمرين بالدرجة الثانية، ومن الوهلة الأولى تبين لها بأنّ مدينة المنيعة تتوفر على إمكانيات اقتصادية هائلة، بما فيها الموقع الاستراتيجي كونها تتوسط الصحراء، وطبيعة مناخها الذي يساعد على إنتاج البواكر من المنتوجات الفلاحية خاصة الفاكهة، وتتوفر على مياه جوفية باطنية عذبة على طول مجرى "وادي

المنارة للاستشارات

صغر" الذي ينطلق من جهة جبال الأطلس الصحراوي و منطقة البيض حتى المنيعة التي تعد مصبا له[5]، وقامت فرنسا بعدة مشاريع اقتصادية من بينها:

3.2-حفر الآبار الارتوازية:

قبل أن نستعرض الاستغلال الفرنسي للمياه الجوفية في المنيعة، نتعرض للطرق المتبعة من طرف السكان في استخراج المياه الجوفية لاستعمالها للشرب وفي الزراعة، في البداية اعتمدوا على طريقة الفقاقير التي لعبت دورا كبيرا في فترة المملكة الزناتية، فقد وجدت بالقرب من العرق الغربي تستعمل مياهها في ري حقول منخفضة الأرضية الموجودة في الحمادة، لكن الفقاقير اندثرت بسبب مجيء القبائل العربية للمنيعة واستقرت بها فحفرت الآبار بالقرب منها فضعف منسوب مياهها، وتم التخلي عنها بسبب حفر الفرنسيين للآبار الارتوازية، ومن بين "الفقرات" التي كانت موجودة بالقرب من منطقة "سانت جوزاف" بمنطقة بلبشير تمر عبر حقول الأخوات البيض، لذلك تقول بعض الدراسات الفرنسية أنّ "الفقرات" اندثرت قبل مجيء الفرنسيين الذين وجدوا أثارها، و هذا ما أقرته بعثة "شوازي"سنة1898م[6].

إضافة للفقاقير وجدت أبار تقليدية التي تستخرج مياهها عن طريق اليد أو الدواب بالقرقاز[7]، والأمر الذي ساعد على وجودها قرب المياه الجوفية من السطح على عمق ما بين 1 متر إلى 4 متر على حسب المنطقة تبعا لمجرى الوادي، ووجد مها عدد على حسب الدراسة التي قامت بها بعثة "شوازي"، بداية من منطقة "سانت جوزاف" (في بلبشير) حتى حاسي الغارة[8].

قامت فرنسا بدراسة معمقة للشبكة الهدروغرافية للمنيعة متتبعة بداية وادي صغر من الأطلس الصحراوي حتى مصبه بمدية المنيعة، فوجدت بأنها تتوفر على مخزون هائل، بل من خيرة المياه العذبة الجوفية، وهذه المياه الجوفية تتوفر على ضغط باطني يمكنها من الصعود إلى السطح دون آلة، وهذا يوفر عليها مصاريف

المنارة للاستشارات

الطاقة، فشرعت في وضع مخطط لحفر الآبار الارتوازية بداية من سنة 1891مفي منطقة بلعيد وبلبشير وحاسي القارة في عهد الحاكم العسكري (لامي)(Lamy)، واستمرت في الحفر بين الحين والآخر حتى سنة 1955م فبلغ عدد الآبار المحفورة 23 بئر من بينها بئر بلعيد القديمة وبئر بلبشير بئر حاسي القارة سنة 1891م، وبئر الطلحاية سنة 1893م، وبئر الآباء البيض سنة 1894، وبئر الحاجة حليمة سنة 1896، وبئر باطروشي 1907م، ...إلخ :[9]:

يتبين لنا من هذه المعطيات التوزيع الجغرافي المحكم لهذه الآبار، بحيث تتوزع على حسب الأراضي المراد استصلاحها، وفي نفس الوقت يستفيد منها السكان في الشرب، إضافة إلى ذلك أن عمق الجيب المائي في مدينة المنيعة قريب من السطح فهو يتراوح ما بين 55م و155م، ويعطي هذا العمق كمية ضخ للماء عالية خاصة في البداية التي وصلت حتى 8500ل/ دقيقة في دوار الخشب، و6500ل/ دقيقة في حاسي القارة، و2900ل/دقيقة في بلبشير، واستقرت كمية الضخ لهذه العيون المائية حتى سنة 1955مابين 250ل/دقيقة كحد أدنى إلى 6500ل/دقيقة كحد أقصى وذلك على حسب موقع كل عين من العيون وتعطي في مجموعها كمية ضخ للمياه 29530ل/في الدقيقة حسب الدراسة التي أجريت سنة 1955م، مما يوحي بالكمية الهائلة للمخزون المائي الذي تتوفر عليه مدينة المنيعة والذي يتغذى من مياه الأطلس الصحراوي[10].

أدى توفر الإمكانيات الزراعية من وفرة للمياه والتربة الزراعية التي قامت مياه الوادي على تسميدها عند جريانها المفاجئ، ووجود هذه المساحة الزراعية في مستوى منخفض ما بين العرق الغربي غربا والجبل شرقا وشمالا، مما وفر لها درعا طبيعيا واقيا من الرياح المضرة للمحاصيل الزراعية، كل هذا شجع فرنسا على أن تركز مجهوداتها على إتباع سياسة زراعية خاصة بمدينة المنيعة، وجعلت منها مركز

المنارة للاستشارات

تجارب مثل منطقة الواجدة والمزرعة البلدية ببدريان، وحقول سانت جوزاف ببلبشير وأنشأت مشتلة بلعيد[11].

قامت فرنسا بفحص للتربة الزراعية لمعرفة درجة خصوبتها وما ينبغي إضافته لاستدراك النقائص ومن بينهذه الدراسات الخاصة بالزراعة دراسة (شوفاليي) (G.Chovalier)سنة 1934م،ووضعت خريطة خاصة بحفر الخنادق(Drainage) من أجل امتصاص الماء الزائد عن التربة وهذا ما قاله السيد **(ديرون)** (Durand): << في جميع الأحوال هناك ضرورة استخدام الخنادق لامتصاص الماء الزائد ونبعد ضرر الأملاح للمزروعات >> لأن المياه بتبخرها تزيد من كمية الأملاح مشكلة في النهاية بما يعرف بالسبخة، لذلك تداركت هذا لوضع من البداية بوضع هذه الخطة المحكمة، والتي تعدّ بالفعل تأسيسية للزراعة في مدينة المنيعة، وتضمن استمرارية وحماية لها[12].

وفرة المياه أدت إلى توسيع مساحة الأراضي الزراعية، فلما جاء الفرنسيون إلى المنيعة وجدوا عدد قليل من النخيل يعتمد على السقي التقليدي عن طريق بئر القرقاز، ونصف هذا النخيل مهجور، في حين وصل عدد النخيل سنة 1956م إلى 128.080 نخلة، وبالتالي حولتها إلى مستثمرات بتكلفة قدرت 5000 فرنك في المتوسط للهكتار الواحد بمعدل 100 نخلة في الهكتار الواحد[13].

4.2-التركيز على المحاصيل الزراعية الصناعية التجارية:

لم يقتصر النشاط الاستعمار الزراعي على التمور وإنما شمل منتوجات زراعية صناعية تجارية أخرى مثل زراعة أزهار العطور، والحوامض، حيث خصصت لها هكتارات معتبرة كتجربة أولية ونجحت في ذلك، والذليل على ذلك اختيار مدينة المنية لعقد مؤتمر عرف بمؤتمر الأزهار والبرتقال في الصحراء 1930م، والذي استقطب الأنظار على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي،

المنارة للاستشارات

كونه جمع ما بين القيمة الاقتصادية من جهة ومن جهة أخرى توسيع مجال البحث العلمي من أجل استغلال إمكانيات الصحراء من أجل تكريس السياسة الفرنسية الاستعمارية.

5.2-المؤتمر الدولي للأزهار في الصحراء بمدينة المنيعة29جانفي1930م:

قبل أن شرع في دراسة هذا المؤتمر نشير هنا إلى حدث مهم بالنسبة الاستعمار الفرنسي متمثل بالاحتفال في ذكرى مرور مائة سنة على احتلالها للجزائر سنة 1830م.وهذا ما أشارت له الصحف الفرنسية من بينها: "ليشو دالجي"(l'Echo D'Alger)، التي ربطت موعد عقد المؤتمر مع الذكرى المائوية للاحتلال[14].

أعضاء المؤتمر:

حضر المؤتمر أزيد من أربعين شخصية من مختلف المجالات السياسية والعلمية والعسكرية، وحتى كبار التجار الفرنسيين، ومن الأهالي المزارع والتاجر الكبير "محمد بن براهيم عبازة"[15]. وحضي المؤتمر بتغطية إعلامية مثل جريدة التايمز، وجريدة "لو فيغارو"وصحف أخرى ومن بين الشخصيات التي حضرت المؤتمر: الحاكم العام في الجزائر "بياربورد"(Pierre-Bordes)، والقائد العسكري "كوفي"(Cauvet) ضابط الشؤون الأهلية، وهو من الفرنسيين الأوائل الذين استكشفوا الكثيرمن المناطق الصحراوية، وأساتذة جامعيين من الولايات المتحدة الأمريكية التي مثلها" داوسون" (M.Dawson)ممثل المؤسسة الزراعية، وعن بريطانيا "ماجورشيب"(MajorChip) ممثلا لشركة الملكية الزراعية، وعن ألمانيا "فريكمان"(Frikmane) أستاذ بالمدرسة العليا للزراعة ببرلين، و"دولافراغ (De-laFrague) ممثل شركة أسفار ونزل شمال إفريقيا، وله دراية كبيرة بالصحراء من تجواله فيها لمدة 20 سنة، وشخصيات أخرى مختصة في استثمار الأزهار والبرتقال، ومجال النقل البري والجوي، وصناعة المواد الكيمياوية والأسمدة الزراعية[16].

المنارة للاستشارات

أشغال المؤتمر:

افتتح المؤتمر "ريكار"(M.J.H.Ricard) المكلف بتسيير فعاليات المؤتمر بطرح ثلاثة أسئلة: من نحن؟، أين نحن؟ لماذا نحن هنا؟ مجيبا بمخطط عمل بداية الملتقى، والأعمال التي يجب مباشرتها، وعرف بالأماكن الصحراوية، من أجل إدخال الصحراء في طريق زراعي علمي جديد يؤهلها لأن تكون مكان خصب خاصة مدينة المنيعة مركزا على الأزهار والبرتقال كقاعدة اقتصادية في السياسة الزراعية للجنوب الجزائري، وهذا ما يتوخاه من أعضاء المؤتمر وما يقترحونه من أراء وقواعد علمية ومادية ترسم خطة أولية لإنتاج الأزهار والبرتقال في الواحات الصحراوية ومنه تمدين المساهمة في زيادة تمدين الصحراء.

أعمال فرنسا المتعلقة بزراعة الأزهار والبرتقال في منطقة المنيعة شرع فيها قبل هذا المؤتمر أي منذ مجيء الفرنسيين لها، وعملوا على توفير مقومتها المادية والبشرية، وأردوا توسيعها عن طريق دراسة علمية انطلاقتها هذا المؤتمر.

6.2- مظاهر زارعة الأزهار و البرتقال:

نظرا لتوفر شروط زراعية ومناخية مشجعة منها: التربة الخفيفة، والماء العذب، وهواء مواتي، ودرجة حرارة مناسبة هذه الإمكانيات شجعت فرنسا على إدخال الكثير من أنواع الأزهار التي تستجيب للشروط المذكورة سابقا، ومن بين هذه الأزهار «زهرة دو.دماس" (de.DAamas) التي كانت تسمى في فرنسا قديما بزهرة غليكا(Gallica)، وكانت تزرع في سوريا والهند، والإحصائيات تقر بأنّ 1 هكتار من هذه الأزهار تنتج بمعدل 3000 كلغ. ومن بين الأزهار وجدت زهرة الباي والتي تسمى "دماسونا"(Damascena) تحتوي على كميات هائلة من العطر، وهي تزرع كذلك في بلغاريا خاصة واليونان، و"دماسونا" الخاصة بشمال إفريقيا أكثر عطاء للرحيق لطبيعة المناخ التي استجابت لها، ومن بين الأراضي التي خصصت لزراعة

المنارة للاستشارات

هذه الأزهار نجد مشتلة "بلعيد" وحديقة مركز الشؤون الأهلية التي حظيت بعناية كبيرة من طرف ضابط الشؤون الأهلية "كوفي".

بالإضافة إلى أراضي أخرى، ومن بين الأهالي الذين نجحوا في زراعتها السيد "عبازة محمد" منطقة مزاب استطاع أن يحول مساحة معتبرة لزراعة الأزهار وكل أنواع البرتقال، بل كل أنواع أشجار الفاكهة بمجهوداته الخاصة طيلة 30سنة قبل انعقاد المؤتمر لأن الزيارة الميدانية التي نظمها المؤتمرون لمزرعته كان في قمة عطائها، وهي نموذج حي شجع على الاستمرارية في هذه الزراعة، وهذا ما جعل أحد الضباط الذين حضروا المؤتمر أن ينصح بعض المهتمين بالاستثمار الاقتداء به ونسمي على سبيل المثال"مادام برار"(Madame Berard)، والمشرفة على حديقة نزل "ترونس أتلنتيك"(Transatlantique) وغيرهم من الحاضرين.[17]

7.2-أهداف زراعة الأزهار والبرتقال في المنيعة:

من خلال النتائج التي توصلت إليها فرنسا في مجال الأزهار والبرتقال، تبين لها توسيع المساحات الخاصة بها، وذلك من أجل إيجاد مصدر مهم لتموين مصانع العطر وعصير البرتقال في فرنسا بالمادة الأولية خاصة العطر، وذلك للأرباح الكبيرة التي ستحققها، بل أكثر من ذلك العمل عل تقطير سائل العطر في مكانه أي المنيعة، حتى تضمن عملية نقله بسهولة من حيث طريقة وكمية نقله، وعملت على التركيز لتوفير آلة التقطير(Alambic) للمنطقة مع توفير وسائل النقل، وهذا ما صرح به الحاكم العام "بيار بورد"، بأن تكون المنيعة أول من يدشن أول تجارب تقطير عطر الأزهار، بل أكثر من ذلك عملت تهجين فصائل خالصة مخصصة للمنيعة مثل زهرة الشاي.

ومن الأهداف التي رسمتها فرنسا من وراء هذه السياسة الزراعية الصناعية التجارية هي إيجاد مكان خالي من الأمراض التي تعرضت لها محاصيلها في العديد

المنارة للاستشارات

من مزارعها سوآءا على مستوى فرنسا، أو على مستوى مستعمراتها، ونذكر على سبيل المثال لما تعرض لها محصول عنب الخمر لمرض "فيلوكسيرا" في فرنسا.

عملت جاهدة على إيجاد بديل للأراضي المتضررة في مستعمراتها خاصة الجزائر التي تم توسيع زرع الآلاف من الهكتارات من عنب الخمر، نفس الشيء نلاحظه بالنسبة للأزهار والبرتقال، حيث تعرض محصولها للأزهار في المغرب الأقصى(زهرة دودماس) مرض الفطريات(Cryptogamiques) المثبط للإزهار، وهذا ما جعل بعض الأخصائيين يركز بل يشدد عل المحافظة على الوسط الطبيعي لمدينة المنيعة الخالي من الأمراض سوآءا فطريات أو ذبابة الحوامض، أعادوا السبب في ذلك لعزلتها وبعدها عن بقية المناطق التي قد تحدث عدوى، والتي قد تنتقل عبر وسائل النقل أو الغرسات القادمة من المشاتل الأوربية، ومنه قامت باتخاذ التدابير اللازمة للوقاية بإقامة مصلحة للتطهير، أو التركيز على المشاتل المحلية كما ونوعا[18].

الهدف الكبير من وراء هذه الزراعة تحقيق أرباح تجارية من جهة، ومن جهة أخرى إيجاد وسط ملائم لإنتاج البواكير من حوامض وكروم، إضافة إلى نقطة مهمة جدا كون أشجار الحوامض بالمنيعة تتصف بكبر حجمها ومذاقها الرفيع وارتفاع مردود الشجرة في السنة الواحدة، بل أكثر من ذلك ارتفاع معدل العصير الذي تحتويه في حالة إدخالها للمصانع.

تهيئة مدينة المنيعة لأن تكون وسط مشجع وجالب للاستيطان الأوربي، وخطوة تخدم السياحة الفرنسية الصحراوية هذه الأخيرة التي لم تغفل عنها الحكومة الفرنسية الاستعمارية وهذا ما سنوضحه في النقطة الآتية.

3.المشاريع الاستعمارية الثقافية في المنيعة:

المنارة للاستشارات

ركزت فرنسا على إعطاء المنيعة طابع سياحي مستغلة الإمكانيات الطبيعية التي تتوفر عليها من مناظر طبيعية، بل حتى من حيث التخطيط العمراني، وتنظيم للشوارع وتزويدها بالمرافق كنزل "ترونس أتلنتيك"(Transatlantique) الذي كان يتمتع بطابع جمالي، ونزل روني مارسي، وكلها في وسط المدينة، ورصدت مواقع زهرة الرمال المحيطة بها، والقصر القديم، ونقبت عن بقايا وسائل الإنسان الأول، والتي جمعها في الأخير"الأب لوكلار"، والتي أصبحت فيما بعد النواة الأولى لمتحف عمومي وطني طبيعي، ألحقت الدولة الجزائرية بوزارة الثقافة، وأهم معلم سياحي متمثل في المتحف الذي أنشأه الكولونيل المتقاعد "أوجيراس"[19].

1.3 السياحة العلمية مظهر من مظاهر النشاط الثقافي:

تتجسد خاصة في تشييد متحف الكولونيل المتقاعد "أوجيراس.Augiras"، هذا الرجل العسكري المتقاعد صبّ كل معرفته بالشؤون الإفريقية في هذا المتحف، وتفطن إلى الاستثمار في مجال السياحة، فخصصت له الحكومة الفرنسية أرضا واسعة تتسع لأزيد من 50 هكتار تمتد من قرب أراضي الكنيسة في منطقة بلبشير إلى حفر بلعباس، وقم بدوره إلى استغلالها كالآتي: بناء متحف كبير مقسم إلى أربعة حجرات كبيرة وكل حجرة مخصصة لغرض معين، فالأولى خصصت لمكتبة للمطالعة، والثانية لجميع الحيوانات الموجودة على مستوى إفريقيا محنطة، والثالثة لجميع وسائل الصيد المستعملة في إفريقيا قديما وحديثا، والرابعة لجميع الحشرات والزواحف الموجودة في إفريقيا تم تجفيفها أو المحافظة عليها بطريقة علمية[20].:

كان هذا المتحف قبلة للسواح وللعلماء والطلبة الجامعيين من كل بقاع العالم الذين يرغبون في إجراء دراسات عن الصحراء الإفريقية وإفريقيا وهذا ما يعرف بالسياحة العلمية، والأمر الذي جلب هؤلاء توفر وسائل الراحة والاستجمام، "فأوجيراس" بنى خيام على الطراز الإفريقي والتي تسمى" زرايب كرون كوكو" وكل

المنارة للاستشارات

زريبة محاطة بالماء متصلة مع الأخرى بخندق تشكل في مجموعها مساحة مغطاة بالنبتات المائية توحي للزائر بأنه في غابة افريقية، وحقق" أوجيراس" مداخيل معتبرة من هذا الاستثمار، وهذا يعود إلى عدة اعتبارات منها توفر وسائل النقل خاصة النقل الجوي، والجانب المناخي الذي لطفته المياه العذبة والغطاء النباتي للواحة.

2.3 ملجأ اليتامى بمدينة المنيعة:

تعود دوافع إنشائه إلى استقرار عدد كبير من المستوطنين الفرنسيين في الصحراء الجزائرية من جنود ومدنيين، ونتيجة لبعدهم عن عائلاتهم وحالتهم الاجتماعية التي تتمثل في العزوبية تزوج عدد من هؤلاء المجندين من نساء من قبائل الطوارق، أو من قبائل زناتة، وتولد عن هذا الزواج أولاد، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)، غادر هؤلاء الجنود الصحراء إلى جبهات الحرب، ومعظمهم لم يعد إلى الجزائر كونهم ماتوا أو رفضوا العودة مما جعل السلطات الفرنسية بمعية الآباء البيض بالجزائر تصدر قرار بإنشاء "ملجأ اليتامى" سنة 1921، والدافع الثاني استغلال هذا الملجأ للتقرب من الأهالي خاصة المعوزين لوضع أبنائهم بدعوى حمايتهم وتعليمهم[21].

تمّ تقسيم هذا الملجأ إلى قسمين منذ بدايته في أوت 1921: ملجأ للذكور ويسمى "سانت جوزاف" وملجأ للإناث ويسمى "سانت آن" وكيلاهما يسيرهما الأب: "أوغيستان لونغلاز" هذا الأب كان له دور كبير في تنظيم تسيير هذين الملجأين، وهذا بطبيعة الحال لخبرته العالية بأمور الصحراء، وكذلك لثقافته الموسوعية التي تشمل الجانب الديني والعلمي والاجتماعي، ونظيف إلى ذلك التكوين المحكم للطاقم الذي يشتغل معه سوآءا رجال الدين أو اليد العاملة من الأهالي، وبدأ عمل الملجأ بثلاثة يتامى ثم 11 حتى وصل العدد إلى 125 يتيم، وأصل هؤلاء اليتامى من: عين صالح، تيط، تمنراست، كلوب بشار، المنيعة، ورغلة، غرداية، الأغواط...، وتم

المنارة للاستشارات

تغيير أسماء هؤلاء اليتامى خاصة أنّها مكونة لقب فرنسي عادة و الاسم عربي عادة وذلك من أجل أحداث القطيعة بينهم وبين كل ما له علاقة بالعربية، هذا ما نجده في القائمة التي أرسلها الأب إلى الفاتيكان والتي كانت مكونة من 27 من ذكور وإناث مثل: "العربي تيرو" أصبح اسمه "مارسيل باتريس" وكذلك "أحمد زيدان" أصبح اسمه "بول ايربان"[22].

تتمثل نشاطات الملجأ فيما خطط له الآباء البيض: فعند حلولهم بالصحراء وخاصة المنيعة منحتم السلطات الفرنسية المئات من الهكتارات ومارسوا فيها كل أنواع الزراعة وذلك لتوفير حاجيات الملجأ ولذلك تم تخصيص ساعات عمل في هذه المزارع لليتامى يتعلموا مختلف الحرف، ويتضمن نشاط الآباء البيض التطبيب خاصة عن طريق الأخوات البيض، وذلك للتقرب من النساء العربيات كونهم لا يخرجن من بيوتهن، تعليم اليتامى بداية من الصلاة الإجبارية صباحا حتى مختلف النشاطات، وكان تعليم الأطفال عندهم مقسم إلى ثلاثة، داخلي ونصف داخلي وخارجي، حتى يتحصلوا على شهادة التعليم الابتدائي.

والنشاط الملفت للانتباه أنه عند كبر اليتامى يقوم "الأب أغستين" بتزويجهم، ما بين الذكور والإناث الموجودين على مستوى الملجأين، والهدف من ذلك تكثيرهم حتى بلغ العدد الخاص بهؤلاء 300 نسمة بعدما أنشأ بواسطتهم بما يعرف "القرية المسيحية سانت جوزاف" حيث جعل كل عائلة تتحصل على مساحة زراعية قدرها هكتار وبيت وعنزة ومنزل داخل الهكتار، ومنه تتوفر كل عائلة على مصدر رزقها بشكل دائم وفق تطبيق الأمور التي تمّ تعليمهم إيها في الملجأ ومنه تعتمد كل أسرة على نفسها في تدبير أمورها الحياتية. وبلغ عدد هذه الوحدات حوالي 37 وحدة وموضوع وفق مخطط يتماشى ووضعية الكنيسة التي تم إنشاؤها بعد عشر سنوات من الأشغال فتحت يوم 20 فيفري 1938م[23].

المنارة للاستشارات

ومنه يتبين لنا أن الهدف من ذلك إنشاء مستوطنة مسيحية من هؤلاء اليتامى وربطهم بوطنهم على الكيفية التي يريدها الآباء البيض، والعمل على انشائهم بعيدين كل البعد عن أي شيء ربما يربطهم من حيث أن أمهاتهم سليلات من المجتمع الجزائري

4.الخاتمة:

مما تقدم يتبين لنا مدى هيمنة النشاط الاستيطاني الاقتصادي والاجتماعي والثقافي على مدينة المنيعة مما جعلها منذ البداية في خدمة الاستعمار الفرنسي، بل وجعلها نقطة تدار من خلالها كل ما يجري من سياسات استعمارية تخص المناطق الاستعمارية الصحراوية خاصة تلك المناطق الواقعة في جنوبها، رغم الاسم البراق الذي وصفت به المدينة لؤلؤة الصحراء أو وردة الرمال، ونلاحظ التركيز الكبير على تكثير زيادة عدد المستوطنين عن طريق تشجيع الاستثمار الزراعي خاصة المنتوجات الزراعية التجارية التي تدر أرباح كبيرة، خاصة بعدما تمكنت من دراسة الوسط الطبيعي علميا واستغلال الإمكانيات الطبيعية والبشرية للمنطقة بطريقة علمية، وركز المستوطنون في النشاط الثقافي على السياحة العلمية وذلك بتشييد متحف جعلت منه نقطة استقطاب للباحثين من مختلف مناطق العالم المهتمين بالأمور التي تخص قارة إفريقيا، وتوجت هذا النشاط الثقافي بعقد مؤتمر دولي يعدّ الأول على مستوى الصحراء ركزوا فيه على مدى استغلال هذا الوسط لإنتاج الأزهار والحوامض ارتأت فرنسا أن توسع من مساحة الحقول الخاصة بالأزهار المهجنة التي تتكيف وطبيعة المنطقة من ناحية نوعية التربة والمناخ. ومن التوصيات التي يجب الاشارة إليها هو مضاعفة الأبحاث الأكاديمية لمثل هذه المواضيع وذلك من أجل تسليط الضوء على النقاط المظلمة من التاريخ المحلي

المنارة للاستشارات

لمدينة المنيعة، ومنه كشف الأهداف الحقيقية للمشاريع الفرنسية ومدى انعكاساتها على المنطقة الصحراوية.

5.المراجع:

1–طالب حما بلحاج: تاريخ مدينة المنيعة منذ تأسيسها حتى دخول الغزو الفرنسي، منظمة المجاهدين المنيعة، لم ينشر بعد، ص1. وأنظر كذلك: أنظر: مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر 1979،ص ص17–18.

2–كثيرا ما كانت مدينة المنيعة مفر للمطلوبين من طرف رحال السلطة في الشمال، مثل فرار "صغير بن عامر" إلى المنيعة الذي ساءت علاقته مع المرنيين الذين سيطروا على تلمسان سنة 1337م، وأخذ في التقرب من السلطان الزياني، وأشار الطالب حما بلحاج: أنها منعت الفارين من مقتل زعيمهم الهلالي الذي زوج ابنته للأمير المغراوي "عباس بن منديل"، أنظر: حما بلحاج: المرجع السابق ص1.

3– هو الجنيرال الذي سقطت على يده مدينة المنيعة بشكل رسمي في يد الاحتلال الفرنسي، ونقش ذلك في نصب تذكاري موجود إلى يومنا هذا، وضع في قمة القصر القديم بالمنيعة، والذي اتخذ منه برجا مكنه من مراقبة كل ما يحيط بالمدينة لعلوه وو جوده بوسط المنيعة.أنظر:

-Rene .Basset : La Légende de Bent El Khass, R.A. Vol,49,1905, pp18-34.

4- Archives nationales de Frances : 47AP .1-25.

5-Geneviève Capot-Rey :L'Eau et le sol a El-Goléa : Revue Travaux de de l'institut de Recherches Sahariennes, université d'Alger, Tome XVII, 1er.2me semestre,1958,pp83-126.

6-Choisy M.A: Documents Relatifs a la Mission Dirigée Au Sud de l'Algérie. Imprimerie Natoinale, Paris, 1892,P 41.

7–القرقاز: كلمة زناتية، وهو وسيلة تستعمل لاستخراج الماء من البئر، مصنوع من خشبة طويلة مزودة بحبل في نهايته دلو لسحب الماء، والخشبة مثبتة على عمودين من الطوب أو الحجرأنظر:

-René .Basset : op.cit, 22.

-8Choisy : op.cit, p41.

9-Geneviève Capot :op.cit ;p125.

المنارة للاستشارات

10--حسب نظرة كوسكوف المكلف بدراسة الجانب الهدروغرافي التابع لمصلحة المياه والتهيئة الريفية (SHER) بالمنيعة سنة 1953: الجيب المائي المنيعي يتغذى من الأطلس الصحراوي وليس من العرق، أنظر:

- Choisy :op.cit,p53.

11-Congrès de la Rose et de L'Oranger au Sahara ,29 janvier 1930,a El-Golea, Paris,1930,p9.

12-Geneviève Capot :op.cit ;p98.

13-Ibid,p 122.

14-Congrès de la Rose et de L'Oranger …,op.cit,pp10-11.

15- أصله من مدينة غرداية قدم إلى مدينة المنيعة سنة 1899م، وهو شاب للبحث عن عمل، وانتهى به الأمر بفتح دكان صغير، وجاءته الفرصة لما حضي بتموين الفرنسيين بالمواد الغذائية من سنة 1900 إلى سنة 1901م، الأمر الذي ساعده على تكوين ثروة سمحت له بشراء أرضي استغلها فيما بعد في توسيع نشاطه الزراعي الذي جمع ما بين انتاج التمور بمختلف أنواعها، ثم زرع الحوامض، ثم أضاف زراعة الأزهار مستفيدا من خبرة البستناجي الفرنسي الذي كان يشتغل في مكتب الشؤون الأهلية بالمنيعة المسمى (M.Goddberge)، الذي تعلم عنه الكثير من الأمور التي تخص الزراعة العلمية، ويعتبر «محمد عبازة" من الأعضاء البارزين في الغرفة التجارية الفرنسية على مستوى الصحراء، أنظر:

-Congrès de la Rose….op.cit,pp152-155.

16-Idem,p12.

17-- Geneviève Capot, op.cit pp83-126.

18- Congrès de la Rose….op.cit,pp222-224

19-أجرينا مقابلة شفوية مع الشيخ الهامل بلحيران من مولود1937م، وكان اللقاء يوم 12 مارس 2012م صباحا، كان أحد العمال في هذا المتحف مع السائق الخاص بأوجيراش المدعو "باغباغو" أصله من مدينة عين صالح، و كان الشيخ الهامل يتمتع بكل قدراته الصحية والعقلية، ومشهود له بسيرة حميدة وأعمال خيرية. توفي يوم: 02-05-2018م.

20- نفســـه.

21- Roland Patrice : Des pas sur les la dune,Jouve, Paris, 2009.p15.

22-القليل جدا من اليتامى أصلهم من مدينة المنيعة، وأشرنا إلى اسمين هما من عائلة زيدان، والآخر من عائلة بن دومة، حسب المصدر المهم جدا كون كاتبه من نتاج هذا الملجأ. وهو رونول باتريس. من جدة أصلها تارغي، و جده من الضباط الفرنسيين.

23-Roland Patrice : op.cit,p139.

المنارة للاستشارات